النشيد الاسلامي

تجربة النشيد الإسلامي ورغم مرور أكثر من عقد من الزمان على بدايتها الحقيقية على أيدي المنشدين السوريين ، ما زالت تراوح مكانها . وما زالت لم تبرح التجارب الأولى لأبي الجود وأبي دجانة وأبي مازن والآخرين . ذلك أن هذه التجربة لم تتعرض إلى الآن إلى نقد ومراجعة يواكب مسيرتها ويعيد بناءها على أسس جديدة ، بعيداً عن الآليات والأسس التي أفرزت النشيد السوري في بداياته .

فمن المعلوم أن تجربة النشيد السوري كانت افرازاً لواقع معين ، جرى التعبير عنه بتلك الكلمات والألحان التي نشأنا عليها وألفناها وأحببناها . كانت التجربة بعمومها مغلفة بالبكائيات التي شاعت وقتئذ ، وبأناشيد الحماسة والجهاد التي «تؤجج في القلب روح الصمود».

ربما يقول قائل بأن الوضع الذي أفرز تلك التجربة ما زال قائماً وأن نشيد الجهاد والاستشهاد ما زال هو عنوان المرحلة ، حيث ما زال الاحتلال الصهيوني يرتع في جزء عزيز من ديار الإسلام ، وثمة احتلال وظلم من نوع آخر في كثير من بلدان العالم الإسلامي . . ربما كان هذا الكلام صحيحاً إلى حد بعيد ، ونحن ما زلنا بحاجة إلى أناشيد الجهاد والصبر . ولكن الأساليب التي عبّر بها الأوائل عن

* نشر المقال في مجلة "فلسطين المسلمة" عدد أكتوبر ١٩٩١ .

هذه الروح ينبغي أن تتطور أكثر فأكثر ، سواء على مستوى اللحن أو على مستوى الكلمة .

ولكن الملاحظ أن ثمة تراجعاً في النشيد الإسلامي على الصعيدين، صعيد اللحن وصعيد الكلمة . فما زالت أكثر فرق النشيد الإسلامي تعيش في جزء غير يسير من انتاجها عى الألحان الجاهزة . أي ألحان الأغاني التي يجري نقلها كما هي دون تحوير، وتلبيس الكلمات الجديدةعليها.

وهذا بدوره يقلل إلى حد بعيد من مستوى النشيد الإسلامي ولا يؤهله لأخذ دوره كبديل عن الأغاني الهابطة التي أفسدت الذوق العام في مجتمعاتنا .

فإذا أردنا للنشيد الإسلامي أن يرتقي ويأخذ دوره ويصبح له جمهوره العريض ، فلا بد له من ابتكار ألحان جديدة تتلاءم والكلمات التي يرددها المنشدون ، لا أن نأتي بلحن أغنية راقصة لأحد المغنين أو المغنيات ونلبس عليه كلمات جديدة تتحدث عن الثورة والجهاد.

من جهة أخرى على النشيد الإسلامي ألا يكتفي باللون الجهادي ، فلهذا اللون جمهوره كما أن له أوقاته التي يحب المرء سماعه فيها بل لا بد من أن تطرق أبواباً أخرى حتى

تعطي للجمهور ألواناً مختلفة تدفعه إلى الاستغناء بالنشيد عما سواه .

أذكر أنني كنت أمرُّ ذات صباح بجانب مدرسة ابتدائية للبنات في أحد المخيمات الفلسطينية، وكان من المعتاد أن تقدم الطالبات فقرات متنوعة في الإذاعة المدرسية قبل دخولهن للصفوف . ويبدو أن احدى الطالبات قد أحبت أن تقدم فقرة من النشيد الإسلامي ، فما كان منها إلا أن أنشدت . . .

لا بدّ وأنك زرت سجون

كي تعرف أن الموت حنون

كدت أقزق غيظاً وأنا أسمع هذه الطفلة تردد هذا النشيد كيف سنطبع التدين والإسلام في ذهن هؤلاء الزهرات البريئات ؟ سجن وتعذيب ، ومشانق . . . ليس هذا هو الإسلام بالتأكيد ، وليس هذا بالضرورة هو مصير الإسلاميين أبداً . ولكن هذا ما وجدته الطفلة من نشيد !!

قضية الكلمة في النشيد الإسلامي المعاصر هي قضية وحدها ، فما زال الشعراء الإسلاميون في واد ، والمنشدون وفرق النشيد في واد آخر ، مما يضطر بعض المنشدين إلى أن

يقولوا أي كلام على غرار:

بيتي كان أحلى مكان

أحلى من أحلى من بستان

أذكر أن احدى الفرق الغنائية لفئة يسارية قد أخرجت شريطها الأول ، ومعه كتيب بكلمات الأغاني في الشريط . ولما تأملت أسماء الشعراء الذين كتبوا الأغاني وجدتهم من أشهر شعراء اليسار ، ولم تكن الكلمات قد أخذت من دواوين لهم ، بل هي كلمات وقصائد أعدت خصيصاً للفرقة من أجل غنائها . ولا بد هنا من تذكر تجربة المغني مارسيل خليفة أيضاً . فأين نحن من هذا ، كم واحداً من شعرائنا قرر أن يكتب قصيدة خاصة بفرقة للإنشاد ؟

أين شعراؤنا المبدعون ، لماذا لا يكتبون لهذه الفرق.. حتى الآن لم أسمع أنشودة واحدة من أشعار الشاعر الكبير المبدع محمود المفلح ، لماذا ؟ وهو الذي كتب أجمل القصائد في الشعر الإسلامي الفلسطيني ، من نوع تلك التي نشرها في مجلة العربي الكويتية وغيرها من المجلات . وأين غيره من المبدعين الحقيقيين ؟

لا بد أن يقدم هؤلاء الشعراء قصائد خاصة يجري

تلحينها بالحان خاصة أيضاً ، لكي تعطي النموذج الحقيقي والمبدع للفن الإسلامي . . وحتى إن لم تكتب قصائد خاصة ،فلماذا لا يتم اختيار القصائد المتميزة الحافلة بالصور الشعرية الجميلة والاستعارات الرقيقة ، بعيداً عن قصائد الخطابة والمبالغة الفجة ؟ .

●●●